Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مستوياتنا الفكرية والشعورية واللفظية . واختيار المفردات وربطها بالعلاقات المختلفة يتم فى مستوى عميق من الوعى ، ومن ثم يبدو هذا الاختيار فى أكثر الأحيان ، لا سيما عند ذوى الطاقات الإبداعية المتميزة من الشعراء والأدباء اختيارا لا شعوريا ينساب فى عفوية ودون إدراك كاف لتفصيلات ما يحدث . وأصدق ما يوصف به « النظم » – كما هو المصطلح عند عبدالقاهر – أو المطابقة بين الكلام والمقام – كما أختار الخطيب – انه « اختيار » على مستوى المفردات وعلى مستوى التركيب أو العلاقات النحوية وهذا المعنى من أبرز معانى « الأسلوب » فى الدراسات الحديثة[١٩] . إلا أن منهج السكاكى وتلاميذه الذى غلب على الدراسات البلاغية كان له أكبر الأثر فى توقف هذا النوع من الدراسات البلاغية لإمعان ذلك المنهج فى التقعيد والتقنين ، واعتسافه فى ضبط المسائل وتنظيمها والانسياق فى دوامة التفريعات والتفصيلات والمماحكات اللفظية .

ويلوح الاعتساف بادىء ذى بدء ، فى محاولة البلاغيين توزيع موضوعات البحث البلاغى على ثلاثة أقسام ، أو علوم تتفرع جميعا عن أصل واحد ، وهذه العلوم هى : علم المعانى ، وعلم البيان ، وعلم البديع . ولم يكن هذا التقسيم الثلاثى معروفا قبل عصر السكاكى ، بل كان الشائع استخدام « علم البيان » وأحيانا « البديع » . أما وجه الارتباط بين تلك العلوم وكلمة « البلاغة » عند السكاكى وأتباعه ، بحيث ساغ عندهم ضم ثلاثتها تحتها فهو أن خلاصة ما تهدف إليه البلاغة بمفهومها السابق – أمران : أحدهما الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والآخر تمييز الكلام الفصيح من غيره . والاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، تكفل به علم المعانى[٢٠] . لأنه هو العلم الذى يدرس كيفية المطابقة بين الكلام والمقام . وتمييز الكلام الفصيح من غيره يرجع بعض منه إلى ما يدرك بالحس اللغوى وهو التنافر ، وبعض آخر يرجع إلى المعرفة الواسعة بمفردات اللغة

---

(١٩) انظر كتابى الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى (دار الفكر العربى ١٩٨٦) ص ١٣٢ – ١٣٨ .

(٢٠) عرف السكاكى علم المعانى بأنه « تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره » (مفتاح العلوم الطبعة الأولى ص ٨٦) وقد انتقد الخطيب هذا التعريف واستبدل به تعريفا آخر هو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال » (كتاب الايضاح ص ٩) .